ثقافة

المسرح الوطني اللبناني ملاذ للنازحين في زمن الحرب
من رحم المعاناة مسرحيّة والفن يحوّل المعاناة إلى أمل

في زمن الازمات، يثبت المسرح قدرته على تجاوز دوره التقليدي ليصبح مساحة للدعم الانساني والتعبير الحر. في المسرح الوطني اللبناني، تتحول معاناة النازحين الى اعمال فنية تنبض بالحياة، حيث تروى القصص الحقيقية على الخشبة، في محاولة لمواجهة الحرب بالفن، وترسيخ الامل وسط الظروف القاسية

"المسرح بالحرب كما بالسلم يجب ان يبقى مفتوحا للناس... المسرح يملكه الناس وسيبقى الى جانب المظلومين في الارض وهو صوتهم من اجل الحرية"، هي خلاصة ما يهدف اليه المسرح الوطني اللبناني الذي فتح ابوابه في فروعه الثلاثة في صور

الممثل والمخرج ومؤسس المسرح الوطني اللبناني قاسم اسطنبولي.

وطرابلس وبيروت، لاستقبال النازحين الذين اضطروا الى مغادرة منازلهم من جراء الحرب الاسرائيلية في لبنان.

جرى اعداد قاعات المسرح لاستقبال العائلات وتأمين الحد الادنى من المستلزمات الاساسية، بما يسمح بتحويل هذا الفضاء الثقافي الى مركز دعم انساني يستقبل النازحين ويمنحهم مكانا امنا، مؤديا دورا اغاثيا عبر تأمين احتياجات النازحين الاساسية بالتعاون مع جمعيات وافراد ومتطوعين. وقد ساهم هذا التكامل بين العمل الثقافي والانساني في تعزيز روح التضامن المجتمعي، وابراز اهمية المبادرات المحلية في زمن الازمات.

الخشبة التي اعتادت استقبال الممثلين والجمهور، باتت اليوم تستقبل العائلات الباحثة عن مأوى في مواجهة تداعيات الحرب، وتحولت الى مساحة للحياة والامل حين تضيق الخيارات امام الناس.

لم يعد المسرح مجرد فضاء للعروض الفنية، بل تحول الى ملاذ آمن يحتضن العائلات ويوفر لها مساحة للتعبير والدعم النفسي، في مواجهة تداعيات الحرب والنزوح.

في هذا الاطار، اطلق المسرح مجموعة من المبادرات التي تستهدف النازحين من مختلف الفئات العمرية، من خلال تنظيم ورش تدريبية في مجالات المسرح والرسم والاشغال اليدوية والحكواتي. تهدف هذه الانشطة الى التخفيف من آثار الصدمات النفسية، لا سيما لدى الاطفال، عبر الفن الذي يشكل وسيلة فعالة للتعبير عن المشاعر واعادة بناء التوازن الداخلي. لهذه الغاية نظم المسرح الوطني اللبناني في بيروت، وبالتعاون مع جمعية تيرو للفنون وسينما كوليزيه - الحمراء، ورشة رسم مخصصة للأطفال والشباب، حملت شعار "نرسم لبنان". شهدت الورشة تفاعلا واسعا من المشاركين الذين عبروا من خلال لوحاتهم عن رؤيتهم للبنان، بين الحلم والواقع، حيث تحولت المساحة الى منصة مفتوحة للابداع، اختلطت فيها الالوان بالأفكار.

كما شهد المسرح انتاج اعمال فنية مستوحاة من تجارب النازحين أنفسهم، ابرزها مسرحيتا "راجعين" و"بانتظار الامل"، حيث اعتلى المشاركون الخشبة ليرووا قصصهم الحقيقية امام الجمهور. وقد عكست هذه العروض معاناة النزوح، فقدان المنازل، والحنين الى الحياة السابقة، الى جانب التمسك بالامل على الرغم من الظروف القاسية. وشكلت هذه التجربة نموذجا حيا لدور الفن في نقل الواقع الانساني بصدق وعمق. وتبرز اهمية هذا العرض في توقيته، اذ يأتي في مرحلة يمر فيها لبنان بأزمات متعددة اثرت على القطاع الثقافي بشكل مباشر، مما يجعل من اي نشاط فني بمثابة محاولة لإعادة الحياة الى الفضاء العام. كما ان مشاركة شبان وشابات من خلفيات مختلفة تضيف بعدا انسانيا، حيث يتحول المسرح الى نقطة التقاء تتقاطع فيها التجارب الفردية ضمن إطار جماعي.

تبرز تجربة المسرح الوطني اللبناني كدليل على قدرة الفن على التكيف مع الظروف الاستثنائية، وتحويل الالم الى فعل ابداعي يحمل رسالة انسانية. فالمسرح، في هذا السياق، لم يكن مجرد وسيلة ترفيه، بل اداة مقاومة سلمية تسهم في دعم الانسان والحفاظ على كرامته.

وفي ظل استمرار التحديات، يسعى القائمون على المسرح الى مواصلة هذه المبادرات وتوسيعها، سواء عبر استمرارية الورش او العودة الى تنظيم المهرجانات الفنية، تأكيدا على ان الثقافة تبقى عنصرا اساسيا في اعادة بناء المجتمع، وان صوت الفن قادر على الاستمرار حتى في أحلك الظروف.

عن هذه المبادرات، اجرت "الامن العام" حوارا مع الممثل والمخرج ومؤسس المسرح الوطني اللبناني قاسم اسطنبولي.

■ المسرح الوطني يفتح ابوابه اليوم امام النازحين ويقيم نشاطات لها علاقة بهم، ما هي أبرز هذه النشاطات؟

□ نظم ورشا تدريبية للدعم النفسي من خلال المسرح، الرسم، الاشغال اليدوية، الحكواتي، والدمى للاطفال. تعرض الافلام يوميا الساعة الرابعة بعد الظهر مخصصة للعائلة. معارض الرسم كمعرض "نرسم لبنان" الذي عرضنا فيه الرسوم التي رسمها الاطفال. وهذه النشاطات تقام في صور وطرابلس وبيروت. وفيما تأوي المسارح عائلات، انتجنا مسرحيتين من تمثيل النازحين أنفسهم من شباب واطفال ومن اعمار اكبر سنا: مسرحية "راجعين" ومسرحية "بانتظار الامل". مسرحيتان يتحدث فيهما الشباب عن قصصهم الحقيقية على خشبة المسرح. من خلال الفن نعمل على استمرار الورش، اضافة الى تنظيم ورش في مراكز الايواء لها علاقة بالمسرح والرسم للاطفال والشباب. المسرح يأوي حوالى 150 شخصا في المسارح الثلاثة: الحمرا، صور وطرابلس.

■ كم شخصا يشارك في مسرحية "راجعين" وما ابرز ما تتضمنه من حوارات؟

□ تخبر المسرحية قصص النزوح، ومَن فقد منزله، وكل ما يتعلق بيوميات الحرب من خلال قصص حقيقية. يشارك فيها 17 شابا وصبية من الجنوب، البقاع، والضاحية ومن كل المناطق النازحة. بدأت في ورش، ومن ثم تحولت الى عمل مسرحي يتضمن قصصا مؤثرة فيها صور من الحرب والنزوح ومعاناتهم، من فقدانهم لأهلهم ◄

المقال

ما بين الحياة والموت

تجسّد مقولة وليام شكسبير الشهيرة: "الدنيا مسرح كبير، وكل الرجال والنساء ما هم الا ممثلون"، رؤية عميقة للعالم باعتباره فضاء تتعدد فيه الادوار وتتبدل فيه الاقنعة، حيث لا يعيش الانسان ذاته فقط، بل يؤديها ايضا امام الآخرين. وما بين "مسرح الفن" و"مسرح الحرب" حياة وموت. في مسرح الفن، تتحول الحياة الى مادة جمالية للتأمل واعادة التشكيل. فالممثل يؤدي دورا واعيا داخل إطار منظم، يدرك حدوده ويعرف ان ما يقدمه هو تمثيل للواقع لا الواقع نفسه. هنا، تصبح الخشبة مساحة آمنة لاعادة انتاج الصراعات الانسانية: الحب، السلطة، الخيانة، والامل. يعمل المخرج والنص على خلق عالم رمزي يسمح للجمهور بمشاهدة ذاته من مسافة نقدية، فيتعلم ويتأمل من دون ان يتعرض للأذى. بهذا المعنى، يكون المسرح الفني اعادة صياغة للحياة، لا امتدادا عنيفا لها.

اما مسرح الحرب، فهو الوجه الاكثر قسوة لفكرة "الدنيا مسرح". فالأدوار هنا ليست مختارة، بل مفروضة بقوة الواقع والعنف. القادة يظهرون كمن يكتبون النص، لكنهم في الحقيقة مقيدون بتعقيدات السياسة والمصالح والعقائد، والجنود يؤدون ادوارهم تحت ضغط الاوامر، بينما المدنيون يتحولون الى جمهور قسري داخل عرض لا يمكنهم مغادرته. في هذا المسرح، لا توجد مسافة آمنة بين الممثل والدور، فالأداء نفسه قد يكون حياة او موتا.

ورغم اختلاف السياق، يشترك المسرحان في اعتمادهما على الصورة والاخراج والايقاع الدرامي. فالحرب، مثل المسرح الفني، تبنى على تصاعد الاحداث نحو ذروة، توتر يبدأ خافتا، ثم تتسارع الاحداث، فتبلغ ذروتها في لحظات الانفجار والعنف، قبل ان تنتهي الى انكسار او هدنة او اعادة تشكيل للمشهد. هذا الايقاع يشبه كثيرا بنية التراجيديا، غير ان الفارق الجوهري يكمن في ان المسرح يظل تجربة رمزية، بينما الحرب تترك آثارا مادية وانسانية لا يمكن محوها بسهولة. وتستخدم فيها الرموز والخطابات والاستعراضات العسكرية لصناعة "سردية" تؤثر في الجمهور، والاعلام الحديث، بما يملكه من كاميرات وبث مباشر ومنصات رقمية، يحول الاحداث الى مشاهد منتقاة، تعرض بزوايا محددة وتحرر بعناية، تماما كما يعاد تشكيل المشهد المسرحي ليؤثر في المتلقي.

لكن الفارق الجوهري يكمن في طبيعة الحقيقة التي ينتجها كل منهما. فالمسرح الفني يحاكي الحياة بهدف فهمها، ويظل داخل حدود الجمال، بينما ينتج مسرح الحرب واقعا فعليا مليئا بالدمار والمعاناة.

الحرب تدمر، لكنها تنتج صورا تلهم الفن، والفن بدوره يحاول ان يرمم ما تهدمه الحرب عبر الذاكرة والمعنى. وبين الاثنين يبقى الانسان هو الممثل الحقيقي، اما ضحية على خشبة الواقع، او شاهدا في قاعة المسرح.

ميرنا الشدياق

واصحابهم. يتحدثون فيها عن احلامهم وذكرياتهم وفقدانهم لحياتهم وحريتهم. يتحدثون عن كل ذلك بشكل انساني على خشبة المسرح لمدة 40 دقيقة.

نحن لا نقدم عرضا فقط، بل نفتح مساحة حقيقية للتعبير. هؤلاء الشباب يحملون قصصا كبيرة، والمسرح يمنحهم القدرة على تحويلها الى فعل حي امام الناس. ما نطمح اليه هو كسر الحواجز بين الجمهور والممثل، وبين الواقع والفن، ليصبح العرض تجربة مشتركة يشعر فيها الجميع بأنهم جزء من الحكاية. اما العمل الثاني "بانتظار الامل" فهو عبارة عن قصص نساء ورجال أكبر سنا يتحدثون عن مشاكلهم ما قبل الحرب وخلالها، وكيف يرون الواقع في لبنان من خلال قصصهم الحقيقية على خشبة المسرح. اردنا ان يكون المسرح لكل الاعمار. وتجربة النازحين كانت مهمة لأنها أتت في خلال الحرب، حيث ننظم عملا يتحدث عنها، والمشاركون فيه من النازحين، البعض منهم ينامون في المسرح، والبعض الاخر يأتي من مراكز ايواء. فكانت تجربة مهمة ان يسمع صوتهم ويستمروا في التعبير عن معاناتهم، وعرض هذا العمل في اليوم العالمي للمسرح، وهو الاحتفال الوحيد الذي حدث في لبنان في هذا اليوم

> **تحول المسرح الى مركز دعم انساني متكامل**
>
> **مبادرات فنية لمعالجة تداعيات الحرب النفسية**

على رغم الحرب، وقد احتفلنا على طريقتنا من خلال هذا العمل في 27 آذار، ومن ثم تم عرض هذه المسرحية أسبوعيا.

■ كما ذكرت، يأوي المسرح حوالى 150 شخصا، لكن كيف يتم تمويل هذا الايواء وهل من مساعدات؟

□ لقد تم تسجيل مراكز الايواء رسميا ضمن ادارة الكوارث في المناطق: طرابلس وصور وبيروت. اضافة الى المساعدات التي تأتي من وزارة الشؤون، هناك اشخاص يساعدوننا وجمعيات نتعاون معها، واهالٍ يطبخون ويجلبون الطعام، وهناك من يتبرعُ للمسرح او يتم التبرع مباشرة للناس. هناك اعضاء في المسرح يهتمون ايضا، اضافة الى المتطوعين الذين يساعدون الناس. نظمنا حملة عبر الانترنت، ووزعنا 400 حفاض و200 علبة حليب في صور، لأن هناك صعوبة في تأمين هذه الامور الى الجنوب. وبعد ان كان هناك نقص، نجحت الحملة على الانترنت، واستطعنا تأمين المبلغ للتبرع به. ولدينا اصدقاء مثلا في برشلونة حيث اقيمت عروض افلام سينمائية، وتم التبرع بالعائدات الى المسرح في لبنان للمساعدة. هذا التعاون مع الدولة والجمعيات الأهلية والافراد والأشخاص، مكننا من مساعدة الناس ضمن امكاناتنا.

■ لا شك في ان المسرحيتين تضمنتا قصصا مؤثرة، هل يمكن ان تحدثنا عن بعضها؟

□ هناك طفل اسمه جواد تحدث عن ان المدرسة كانت تعلمه ان للطفل حقا في الاكل والشرب والمسكن، وان يلعب ويعيش بسلام، لكن اليوم لم يعد المنزل موجودا، ولا المدرسة، حتى كتاب التربية لم يعد موجودا. النص، رغم بساطته، عميق. زهراء تحدثت عن محاولة التواصل مع والدتها تحت الانقاض، اذ كانت تبحث عنها وتسألها ان كانت تسمعها، وكان لديها امل في انها لا تزال على قيد الحياة. وهي صورة تتكرر كثيرا في لبنان اليوم اي البحث عن الاحباء تحت الانقاض. آدم تحدث عن المساعدات، وقال انه نازح لا ينتظر علبة فول وحمص، بل هو انسان فقد منزله واغلى ما عنده، لديه احلامه وحياته ولا شيء يعوضه عن العودة. من القصص المؤثرة ايضا قصة لارا، التي كان والدها يتمنى ان تصبح مسعفة، وقد روت تجربة حقيقية اثناء اسعافها للضحايا، حين وصل الاسعاف الى منزلها، فكان الضحية هذه المرة والدها، وكانت تحاول انقاذه، وقالت للحرب: اكرهك لأنك سرقت اغلى ما لدي ولأنك تقتلينا وتأخذين منا كَل ما هو جميل. كما جسدت احدى الشخصيات صحافية تقمع اثناء محاولتها نقل الحقيقة والخبر، متوقعة ان تصبح في لحظة ما هي الخبر، في دلالة على استهداف الجسمين الاعلامي والطبي في لبنان.

■ كيف تم اختيار المشاركين في المسرحيتين؟

□ كانت الورش مفتوحة للجميع بهدف الدعم النفسي، وليس لانتاج عمل مسرحي. ومع الوقت، استمر بعض المشاركين، وقررنا تحويل التجربة الى عمل مسرحي قدم في اليوم العالمي للمسرح بعنوان "راجعين". الاسم والنص والافكار كلها من المشاركين أنفسهم انطلاقا من رؤيتهم وتطلعاتهم اذ كانوا يرددون دائما: "يلا، بكرا راجعين".

■ هل استقطبت المسرحية الجمهور؟

□ يتسع المسرح لـ250 شخصا، لكن في يوم الافتتاح حضر 300. جاء الجمهور من كل مراكز الايواء في بيروت. من الوسط الثقافي والمسرحي حضروا، كالمسرحيين في لبنان والمخرجين والممثلين، وساهم العمل في تنشيط الحركة المسرحية على رغم الحرب، كما اوصل صوت النازحين.

■ هل كان حضور المسرحية مدفوعا؟

□ كان الحضور مجانيا بالكامل، مع امكانية التبرع لدعم الاغاثة وتأمين وتغطية النفقات التشغيلية في المسرح.

■ ما ابرز النشاطات المخصصة للاطفال؟

□ ننظم ورش رسم يوميا عند الساعة الواحدة، ويشارك فيها الاطفال من داخل المسرح وخارجه. ويتم جمع الرسومات لإقامة معرض يوثق الحرب من خلال اعين الاطفال.

■ ماذا رسم الاطفال؟

□ غلبت على الرسوم صور المنازل الملونة، في دلالة على التعلق بالبيت والحنين اليه، اضافة الى رسوم تعبر عن احلامهم وما يحبونه في حياتهم. الرسوم تمحورت ما بين الحلم والذكريات.

■ ما الرسالة التي تسعون الى ايصالها؟

□ نريد التأكيد على ان المسرح، في السلم والحرب، يبقى مفتوحا للناس. هو مساحة للحرية، يقف الى جانب المظلوم، ويواكب الناس في الازمات والافراح. وهذه تجربة انسانية ستبقى في تاريخ المسرح في لبنان. خلال عامي 2024 و2026، فتحت المسارح الثلاثة ابوابها وكانت ملاذا آمنا ومساحة للفن والحرية، متحدية الحرب. نؤمن بأن ما نقوم به واجب انساني واخلاقي. سنستمر بعد الحرب في متابعة الورش والعمل على معالجة الاثار النفسية التي خلفتها، وقد نزح بعض الاشخاص الى المسرح للمرة الثانية، ما يدل على انهم اعتبروه بيتهم.

■ هل هناك خطط مستقبلية؟

□ سنواصل الورش التدريبية الفنية، وهو امر ضروري، كما نتطلع الى عودة المهرجانات قريبا جدا في اطار البرنامج الذي كنا قد وضعناه، مثل مهرجان صور السينمائي واسبوع افلام الصم في بيروت.

م. ش